Issn:2572-0023

مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتاب "وصف إفريقيا"

أ/الطاهر خالد

جامعة الجزائر02

الملخص بالعربية :

سنقف في دراستنا هذه عند أحد أعلام الرحالة والجغرافيين المغاربة الحسن بن محمد الوزان، الذي اشتهر بالمصنف الجغرافي "**وصف إفريقيا**"، إذ ألفه في منتصف العقد الثالث من القرن 16م، ويعد من المصادر المهمة في التعريف بإفريقيا، ومن بينها قسم بلاد السودان أو ما يعرف حاليا بمصطلح إفريقيا جنوب الصحراء. وفي مضمون كتابه عرف نفسه أنه عربي مغربي، ذو تفكير أوربي، كتبه في ايطاليا باللاتينية، وأنتجه في خضم النهضة الأوربية والكشوفات الجغرافية. ويعد هذا القسم مصدرا يزود الباحثين بمعلومات مهمة عن حضارة شعوبه وثقافته، حيث يلقى أضواء كاشفة على بعض المراحل الغامضة من تاريخه مع بداية العصر الحديث. وقد أسهم في إثراء تاريخه من خلال هذا الكتاب، حيث يعرفنا بأحوال قاطنيها وجغرافيتها ومسالكها بشيء من التفصيل ودقة الملاحظة. لأن ما كتبه عن بلاد السودان عبارة عن مشاهدات ووصف بالمعاينة الميدانية للمناطق والممالك التي زارها. فنقل لنا أحداثا مست بشكل مباشر مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وحتى الطبيعية. إذ امتاز منهجه بالتنوع بين الجغرافيا الوصفية والرواية الشفوية، لهذا يعد هذا القسم كوثيقة تاريخية وجغرافية.

الكلمات المفتاحية: الحسن بن محمد الوزان، بلاد السودان، وصف إفريقيا، ليون الإفريقي، الإفادات التاريخية.

الملخص بالأنجليزية :

Abstract:

In this study, we will stand at one of the Moroccan landmark travellars and geographers, Al Hassan Ibn Mohamed El-Wazzane, who is famous for his outstanding geographical work entitled "**The Description of Africa**" which was

written in the middle of the third decade of the 16th century. This work is considered to be one of the important sources in the introduction of Africa including the Sudan section, presently known as Africa. In this book, the writer introduced himself as a Moroccan with a European thinking style. He wrote his book in the Latin language in Italy during the era of the European Renaissance and the geographical findings. This book provides the researchers with important and relevant information about that civilization and its peoples and cultures. Also, it does shed light on some of the mysterious periods of its history at the beginning of the modern era. With this book, the writer has contributed to the enrichment of its history by providing information about the living conditions of its inhabitants, its geography and its tracks in full details and accuracy. As the provided information about the country of Sudan was in the form of live field witnesses and observations of the visited regions and kingdoms through which he reported to us relevant and direct events related to the political, economic, socio-cultural, religious, and even natural aspects of life. Such study is characterized by a diversity between the descriptive geography and the oral narratives. That is why such a work could be considered as a historical as well as a geographical reference document.

key words: Al Hassan Ibn Mohamed El-Wazzane, Country of Sudan, Description of Africa, Lyon African, Historical testimonies.

مقدمـــة :

بعد مرور أزيد من قرن ونصف عن رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان، جاءت بعده رحلة الحسن بن محمد الوزان مع بداية العصر الحديث. الذي دوّن تفاصيل مشاهداته وانطباعاته التي كانت نتاج رحلاته هذه في مصنف عرف باسم "**وصف إفريقيا**". والذي تضمن قسما عن أخبار بلاد السودان خلال العقد الأول والثاني من القرن 16م، وهي فترة تميزت بشح الكتابات عنها على وجه الخصوص. وقد اخترنا هذا القسم عنوانا لدراستنا هذه، لما احتوى عليه من أحداث ومعلومات في غاية الأهمية عن حضارة شعوبها، لأنه وصف أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية. وتتمثل القيمة العلمية لهذا المصنف أنه أُعتمد كمصدر أساسي لدى الأوربيين، حيث ألف في ايطاليا وطبع بها في خضم عصر النهضة، إذ بين لهم مجاهل بلاد السودان التي ظلت مجهولة عندهم إلى غاية نهاية القرن 18م، واستندوا عليه في انطلاق مرحلة جديدة وهي البعثات الكشفية الأوربية إلى إفريقيا. لأن اهتمامهم في البداية كان مقتصرا على سواحلها دون التوغل فيها، وقد أعطاهم هذا المصنف أول صورة مفصلة عن القسم الداخلي لبلاد السودان، التي كانت غامضة عندهم، وقد اعتمدوا على معلوماته كمصدر

جغرافي، لتصحيح ورسم الخرائط، وضبط المعلومات المتعلقة بإفريقيا، لأن الحسن الوزان عرّف فيه مناطقها وممالكها التي زارها فساعدهم في كشفها. ولإعطاء هذه الدراسة حقها يتبادر لأذهاننا مجموعة من التساؤلات، لتفسير بعض الأحداث التاريخية، واستخلاص نتائجها وإلى أي مدى ساهمت الظروف التي عاشها بين الأندلس والمغرب الأقصى ومحنته بإيطاليا في تكوين شخصيته؟ وهل كان لها الأثر على مؤلفه "وصف إفريقيا"؟ وما القيمة العلمية فيما كتبه عن قسم بلاد السودان؟ وما منهجه في توثيق معلوماتها وطريقة تحليلها ؟ وبناء على ما تقدم فإننا ارتأينا أن نعالج هذا القسم مركزين فيه على محاور أساسية، إذ سنتطرق في هذه الورقة العلمية للحديث عنه، من خلال إبراز بعض الجوانب من سيرته وما أثر في نشأته، لأن حياته لم تحظ بالدراسة الوافية والشاملة. ثم التعرف عن منهجه، وطريقة تعامله مع المادة التاريخية التي خصصها لهذا القسم. ثم طرح أهم القضايا التي شغلت انتباهه أثناء رحلاته لها. كما أن الباحث في التاريخ عن بلاد السودان يستفيد من قراءة و"**صف إفريقيا**"، إذ يقف على معلومات تاريخية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية متناثرة في ثناياه تزود الباحثين بمعلومات في غاية الأهمية عن حضارة شعوب هذه المنطقة.

أولا / حياة حسن الوزان :

"ليون الإفريقي" أو الحسن بن محمد الوزان "الغرناطي" مولدا، "الفاسي" نشأة[1]، الزياتي" نسبا[2]، و"الوزان" نسبة إلى أحد أجداده الذي كان يعمل موظفا في مصلحة الموازين العامة[3]. ولد في حدود سنة (893هـ-1488م)[4]، كانت أسرته في غرناطة ثم هاجرت إلى فاس، إثر سقوطها في يد الإسبان في سنة (897هـ-1492م)[5]. تلقى العلم على يد مشايخ جامع القرويين بفاس، حيث درس على علمائها العلوم النقلية والعقلية المنتشرة في عصره. كما أنه عمل منذ صغره على جمع الضرائب من قبائل المغرب الأقصى. وزاول وظيفة كاتب معتمد في بيمارستان الأمراض العقلية في مستشفى بفاس[6]. لهذا لفت نبوغه المبكر نظر سلطان فاس محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بـ"البرتغالي" (ت931هـ-1524م)[7]، فقربه إليه وضمه إلى سلك رجال بلاطه وأسند إليه مهام سياسية[8]، حيث عمل في عهده في الديوان، وكان مكلفا من طرف التجار بالتفاوض مع الحكام الذين كانوا يستبدون ببعض أقاليم المغرب، وينازعون السلطة الشرعية لمحمد البرتغالي، وكان يصاحب أعوان المخزن الوطاسي بفاس في مهامهم الإدارية داخل وخارج المغرب[9]. والى جانب مهامه السياسية في البلاط الوطاسي كانت له في الوقت نفسه مهام سياسية لدى السعديين، وهذا بناء على قوله: "... قابلت حاكم هذه البادية (أسفي) موفدا إليه من قبل ملك فاس والشريف أمير بلاد السوس..."[10]. إذ أن الدعوة السعدية كانت في بداية نشأتها، والتي حافظت على ولائها السياسي للوطاسيين بهدف الدعوة إلى توحيد الجبهة الإسلامية في بداية الأمر،

بغرض طرد البرتغاليين من السواحل المغربية، والقضاء على القبائل المتمردة، وتوطيد نفوذهم في الجنوب المغربي. وفي ظل هذه الظروف عمل مع الشريف محمد القائم بأمر الله السعدي (ت923هـ-1517م) [11]، فكان مرافقا شخصيا له لنشر دعوته، وكاتبا، ومرسولا بين القبائل وسفير[12].

ومن أهم الرحلات التي قام بها رحلاته إلى بلدان المغرب الإسلامي، وبلاد السودان ما بين (914هـ-1508م /920هـ-1515م)، ثم قام برحلات أخرى إلى المشرق ما بين (921هـ-1516م/926هـ-1519م) حيث وصل إلى بلاد الحجاز وحج هناك[13]. ثم توجه إلى القسطنطينية ليتحول منها إلى مصر عبر بلاد الشام، ثم ذهب إلى تونس سنة (926هـ-1519م)، ثم أبحر عائدا إلى المغرب الأقصى. لكنه وقع في أسر قرصان صقلية في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من جزيرة جربة فاقتاده القرصان الصقلي بييترو بوقاديقليا (Pietre Bovadiglia) إلى نابولي بايطاليا، وقدمه هدية إلى البابا ليون العاشر يوحنا الميديسي (Léon x Jean de medicis) (1513م-1521م) [14]، الذي كان مهتما بالعلوم والآداب فلمس فيه الذكاء والعلم والفكر والثقافة، فأحسن استقباله وقرر له معاشا وهو في سجنه كي لا يهرب، وشجعه على اعتناق المسيحية. والسؤال المطروح هنا لماذا لم يتعرض حسن الوزان للاضطهاد الديني في إيطاليا أثناء أسره؟ في المقابل كان المسلمون في الأندلس وسواحل شمال إفريقيا قد تعرضوا للتعصب الديني وحروب الاسترداد؟ فهل كانت مكانته العلمية هي التي شفعت له أمام السلطة البابوية؟ وبعد سنة حرر من أسره وعمده البابا بكنيسة القديس بطرس بروما (Saint Pierre) في 6جانفي 1520م تحت اسم جوهانيس ليو المديسي Johannis Léo de Medicis وهو الاسم الأصلي للبابا[15].

أما حسن الوزان فلقب نفسه "يوحنا ليون"[16]، ولكن غلب عليه لقب ليون الإفريقي (Léon Africain') الذي أطلقه عليه محقق وناشر كتابه "وصف إفريقيا" راميزيو (Rumusio) الإيطالي[17]. ثم انتقل لبولونيا لإلقاء بعض الدروس في اللغة العربية،كما انشغل بدراسة اللغة اللاتينية والإيطالية مهتما بتأليفه. وبعد وفاة البابا ليو العاشر سنة (927هـ-1521م) يبدو أنه لم يلق نفس المعاملة التي كان يعامل بها، فعاد إلى تونس وقضى بقية حياته إلى أن توفي بها في حدود سنة (957هـ-1550م)[18]. ترك العديد من المصنفات منها: قاموس (عربي عبري لاتيني) ألفه من أجل الطبيب اليهودي (يعقوب بن شمعون) سنة (930هـ-1524م) بمدينة بولونيا، ومصنفا آخر في "البلاغة والقواعد العربية"، وفي سنة (933هـ-1527م) ألف كتاب في التراجم باللاتينية عرف فيه بثلاثين عالما عربيا في الطب والفلسفة[19]، تحت عنوان "الحوليات الإسلامية" نشرت بهامبورغ سنتي (1074هـ-1664م) و(1159هـ-1746م). بالإضافة إلى مؤلفات أشار إليها في كتاب وصف إفريقيا غير

أنها ضاعت مثل كتاب "مختصر تاريخ الإسلام"، الذي كرر ذكره عدة مرات، وكتاب "تاريخ إفريقيا الحديث "[20].

وهناك اختلاف في نص تاريخ تأليف كتاب "وصف إفريقيا"، إذ أشار المحقق شيفر Schefer صاحب الطبعة الفرنسية في نصه تاريخ تأليفه بالهجري والميلادي في عام 930هـ الموافق لشهر جانفي 1524م في قوله :

"La copie de ce livre ètè faite par celui qui en est l'auteur, Jean Lèon, natif de Grenade, appelè prècèdemment EL-Hassan ben Mo-hammed el-Ouazzan à Fes, et cela dans les derniers jours de janvier 1524 de l' ère cbrètienne correspondant à l'année 930 des musulmans, dans la ville de Bologne en Italie… "[21]

أما بالطبعة العربية التي حققها كل من محمد حجي ومحمد الأخضري احتوى النص على التاريخ الميلادي في قوله: "...ثم رتبت هذه المذكرات بقدر استطاعتي وألفت منها في الأخير كتابا عندما كنت بروما في العام الميلادي 1526 في العاشر من مارس"[22].

وقد طبع لأول مرة ضمن مجموع الرحالات التي أصدرها بالبندقية الناشر يوحنا راميزيو(Jean Baptiste Ramusio) سنة(957هـ-1550م)، ثم ظهرت ترجمته باللاتينية من طرف يوحنا فلوريان Jean Florian سنة (963هـ-1556م)، وبانفير ببلجيكا سنة (966هـ-1559م). كما ظهرت الترجمة الفرنسية بقلم جان طانبورال (Jean Tramporel) والانجليزية سنة (1008هـ-1600م)، والألمانية سنة (1219هـ-1805م)، وبعد ذلك صدرت الطبعات الكاملة له بالفرنسية على يد شيفر سنة (1315هـ-1898م)[23]. وبالانكليزية بقلم برون (Brown) سنة (1313هـ-1896م). وعملت الباحثة الايطالية أنجيلا كاردوزا (Angela Cardosi) على نشره باللغة الايطالية في طبعة محققة رجع إليها الطبيب أبولا (A.Epaulard) في ترجمته الأخيرة بالفرنسية لوصف إفريقيا، الذي مات قبل أن ينتهي منها سنة (1368هـ-1949م)، وقام بإتمام هذا العمل مجموعة من الباحثين مونوند (Th.Monod) وموني(R.Mauny) ولوث (H.Lhote) فصدرت بباريس في جزأين سنة (1375هـ-1956م)، وقد تميزت هذه الطبعة عن غيرها من الطبعات بالوضوح والدقة في التحقيق. ووضعت له ترجمتان إحداهما في السعودية قام بها عبد الحميد حميدة سنة (1399هـ-1979م)[24]، والثانية من انجاز محمد حجي ومحمد الأخضري بالمغرب الأقصى في جزأين وفي

طبعتين، الأولى سنة 1981م، والثانية سنة 1983م عن دار الغرب ببيروت، وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

ثانيا / منهجه في الكتابة عن قسم بلاد السودان :

يعد كتاب وصف إفريقيا من كتب جغرافية الرحلات، وقد غتبع الحسن الوزان منهج تقسيمه للكتاب إلى تسعة أقسام، فخصص القسم السابع لبلاد السودان، وهو عنوان دراستنا. أما باقي الأقسام فقد خصص القسم الأول لإفريقيا بصفة عامة. والثاني لمراكش من حيث مدنها وسكانها وظواهرها الطبيعية. والثالث لمدينة فاس، والرابع لمدينة تلمسان، والخامس لمدينة بجاية وتونس، والسادس لمدينة طرابلس الغرب، والثامن لمصر، والتاسع خصصه للأنهار والحيوانات والأسماك والطيور والمعادن والنباتات الموجودة في القارة الإفريقية. لكن هذه الأقسام حملت في طياتها معلومات عن هذا القسم، ويمكننا تسجيل بعض الملاحظات والخصائص التي اتسم بها منهجه في إخراج قسم بلاد السودان.

1- التوثيـق :

• المشاهدة الشخصية: وهي تعد من المصادر الهامة في الكتابة عن بلاد السودان، لأن معاصرته لبعض الأحداث ومشاركته في أحداث أخرى كان لها دور كبير في تأريخه لها. فهو يقدم لنا معلومات هامة عن هذا القسم من خلال رحلاته لها، ويصف عددا من الأمور التي عايشها ورأها. حيث قام برحلتين فذكر أن رحلته الأولى صاحبه فيها عمه الذي كان مكلفا بسفارة بين ملك فاس محمد البرتغالي وملك سنغي أسكيا أبو بكر محمد (ت944هـ-1538م). وعمرُ الحسن الوزان 16 سنة آنذاك، وهناك بعض الشواهد التي تجعلنا نرجح تاريخ رحلته الأولى من خلال عمره هذا، وتاريخ ولادته سنة (893هـ-1488م)، رجحنا تاريخ قيامه بهذه الرحلة في حدود سنة (910هـ-1504م)، وبين لنا ذلك في قوله: "...ولما أرسل ملك فاس عمي سفيرا إلى ملك تنبكتو أخذني... لم أكن آنذاك سوى غلام ابن ست عشرة سنة" [(25)]. غير أن خط سير رحلته الأولى ذهابا إلى تنبكتو كان غامضا، لأنه لم يوضح لنا المسلك الذي سلكه، قد يعود امتناعه في الكشف عن مسالكه ببلاد السودان لتخوفه من وصول الأوربيين إليها، واطلاعهم على المسالك المؤدية لها، وكشف أسرارها، لأن تحريره للكتاب تزامن مع الكشوفات الجغرافية لسواحل إفريقيا. غير أن هناك بعض القرائن التي ترجح لنا أنه مر بطريق مراكش عبر الأطلس الكبير وبلاد درعة[(26)]. ومن المحتمل أنه اتجه غربا إلى تيكورارين، ثم من توات إلى صحراء الأزواد مرورا بتغازة، ومنه إلى ولاته، ثم أروان ليصل في الأخير إلى تنبكتو. وأثناء عودته لم يفصح لنا كذلك عن الطريق الذي سلكه[(27)]. وبعد مرور ثمانية سنوات من الرحلة الأولى قام برحلة ثانية لم يشر فيها لأسباب ودوافع زيارته لبلاد

السودان هل يعود ذلك لإعجابه بها في الرحلة الأولى فقام برحلة ثانية لاستكشافها؟ أم أنه كان مكلفا بمهمة نقل الأخبار مثلما فعل ابن بطوطة للسلطان المريني؟ تمهيدا لغزو بلاد السودان الذي تحقق مشروعه مع قدوم السعديين بالقضاء على مملكة سنغي سنة 1591م ورغبتهم في التوسع جنوبا ما وراء نهر النيجر وشرقا إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر؟

وقد أشار أنه قام بها إلى تنبكتو، وبين لنا ذلك في قوله: "أثناء إقامتي بها في رحلتي الثانية..."[28]، وذكر في موضع آخر تاريخ هذه الرحلة، التي كانت في سنة (918هـ-1513م) وذلك في قوله: "...سقطت هذه المدينة (أزمور) عام 918هـ وأنا يومئذ في بلاد السودان"[29]. ومن الصعب تحديد مسلكه وتاريخ تحركاته بصورة دقيقة في رحلته الثانية، لأنه لم يفصح لنا عن ذلك، لكنه أشار أنه سلك طريق الشرق من ولاته إلى القاهرة، لأن معظمها تقع على طول مجرى نهر النيجر[30]. ولعه سلك نفس طريق الرحلة الأولى من مراكش إلى ولاته، ثم دخل السودان الغربي فتوجه إلى مدن مملكة سنغي، فذهب إلى كل من تنبكتو وجني ومالي وغاو، لينتقل بعد ذلك إلى ممالك الهوسا بشمال نيجيريا. ليواصل رحلته شرقا باتجاه السودان الأوسط، إذ زار مملكة بورنو، ومملكة كَاؤكاَ التي كانت تتعامل مع تجار مصر، ومن المحتمل أنه سافر مع تجارها إلى بلاد النوبة. لكن الحسن الوزان لم يصل أثناء رحلاته إلى سواحل السودان الشرقي عكس ابن بطوطة (ت779هـ-1377م)، الذي كان قبله قد وصل إلى زيلع ومقديشو وزنجبار وكلوا، إلا أن الوزان اكتفى بوصوله إلى نهر النيل في حدود بلاد النوبة، ليواصل سيره باتجاه الشمال نحو مصر.

وفي حديثه عن رحلاته إلى بلاد السودان أشار أنه زار 15 مملكة وفاته ثلاثة أضعاف منها[31]، فحدد موقعها الجغرافي بأنها تمتد على طول ضفتي نهر النيجر وروافده، وتقع بين قفرين يبتدئ أحدهما عند نوميديا وينتهي بها، أما الأخر في الجنوب يمتد إلى بحر المحيط[32]. وذكر بأنه توجد ممالك كثيرة تمتد إلى المحيط، ويعود سبب ذلك لعدم تمكنه من التعرف على باقي الممالك الموجودة بها، لطول المسافة وصعوبتها ومشكل اللغة وتنوع اللهجات والمعتقد الديني مما منعه من إقامة علاقات معها[33]، وذكر الممالك التي زارها في قوله: "...واليك أسماء هذه الممالك ابتداء من الغرب إلى الشرق ولاته، جني، مالي، تنبكتو، كاوو، كوبير، أغدس، كانو، كلاتسينة، زكزك، زنفرة، ونكرة، بورنو، كاوكا، والنوبة..."[34]. كما أشار لوجود ممالك في الجنوب تتاخم الممالك التي زارها في قوله: "...وهيبيتو، وتميام، وداومة، ومدرة، وكرهان..."[35]، ويصف سكانها بأنهم أثرياء وكثيرو الاتجار ويحكمون بالعدل. لكن في حقيقة الأمر ذكر أنه زار أربعة منها فقط وهي (تنبكتو وكبر ووانكرة وبورنو)، والباقي لم يشر لنا باتصالات مباشرة وقعت بينهما ،مما يجعلنا نميل إلى القول أن معظم المعلومات التي اطلعنا عليها الحسن الوزان ربما

يكون استقاها من عند التجار الذين سافر معهم في رحلاته، أو سمع عنها أثناء مقامه بالممالك الأربعة التي كان بها.

وعندما يصل في توثيقه عن قسم بلاد السودان نتساءل عن المصادر التي اعتمد عليها، حيث نلاحظ أنه لم يشر إلى أي مصدر عن تاريخه، فهو لم يعتمد على ما ورد في المصادر الجغرافية المشرقية والمغربية التي سبقته مثل ابن حوقل والبكري والإدريسي وابن بطوطة الذين اهتموا بها وتحدثوا عن تاريخها. بل منهجه يختلف عن منهجهم، لأنه أرخ لأحداث عاصرها وقام بدور شاهد عيان، لأنه اعتمد في نقل معلوماته على الوقائع التي عاينها بنفسه أو شاهدها أو ما سمعه بأذنه في بيئته الأصلية. فهو لا يحتاج إلى مطالعة المصادر المكتوبة وهذا ما يفسر لنا خلو هذا القسم من نقول حرفية، وهذا منهجه الغالب في كتابته عنها، وقد عبر عنها في خاتمة كتابه في قوله:"...وقد أثبت بعناية يوما فيوما كل ما رأيته يستحق الذكر كما شاهدته، وما لم أشاهده أخبرني به من يوثق به إخبارا صحيحا كاملا..."[36].

لأن منهج المعاينة أو الملاحظة الشخصية يعتبر مصدرا مهما في البحث الجغرافي بشقيه الطبيعي والبشري، خاصة أن الأمر يتعلق ببلاد السودان فطبيعة تضاريسها المعقدة يحتاج لملاحظات شخصية جد دقيقة، حيث يعطينا تفاصيل توحي للمتتبع أنه زار هذه المناطق فعلا ونجده يحيل ذلك بوصوله إلى غاية نهر النيجر وتتبع جريانه فقال:"...فإننا سرنا في النهر شرقا من تنبكتو واتبعنا مجرى المياه..."[37]، ولما كان في تنبكتو قال: " كنت في هذه المدينة..."[38]. وعندما زار مدينة كبرة قال: " عندما كنت في كبرة"[39]، وقال عند زيارته لبورنو: "ولما كنت في بورنو"[40]، وفي قوله أيضا عن بورنو:"ولما ذهبت إلى هذه المملكة وجدت فيها عدة تجار"[41]. ولما ذكر مشاهدته لتجار ونكرى في كيفية نقل الذهب قال: "ورأيت منهم من يقطع هذه المسافة مرتين في نفس اليوم"[42]. وفي مشاهدته ثروة ملك بورنو قال: "وقد رأيت كل ما يجهز به خيله من ركابات ومهامز وأعنة وشكيمات كلها من الذهب"[43]، كما تحدث عن إقامته في بورنو حيث قال: "لأنني لم أقض في هذا الإقليم أكثر من شهر"[44]، وذكر أنه زار بلاط ملك كاوكا في قوله: ""وكنت حاضرا عندما وفد عليه رجل من دمياط..."[45].

- **المصادر المسموعة**: وهي التي جمعها عن طريق السماع في عين المكان، أو التي سمع عنها أثناء مقامه بالمغرب الأقصى لاستكمال معلوماته لتأريخه عن بلاد السودان وفي هذا الشأن قال: "...في مواقع لا نعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة تنبكتو..."[46]. وهذا المنهج قل ما اعتمد عليه، إذ عادة ما يشر إليها عن طريق السماع وغالبا ما ينقل هذه الأخبار من التجار فيقول:"...فيبيعون بضائعهم ويزودونني بمعلومات

عنها"[47]، أو في قوله: " وحسب ما سمعته من أحد التجار الذي كان يعيش في هذه البلاد (بورنو) ويفهم لغتهم..."[48].

2- منهجيته في كتابته عن قسم بلاد السودان:

يعد كتاب "وصف إفريقيا" مصدرا للجغرافية الطبيعية والبشرية بما في ذلك قسم بلاد السودان، حيث ركز على الدقة وتجنب الخوض في القصص والحكايات غير الموثوق بها، وابتعد عن طريقة الكتابة الجغرافية التقليدية، واعتمد على ذاكرته وما علق بها من أحداث عايشها أو مشاهد رآها.ولهذا تنوعت مناهجه في التأليف عنها بين الجغرافيا الوصفية والرواية الشفوية، حيث تعد رحلاته هناك كوثيقة تاريخية وجغرافية مهمة لمختلف مدنها التي ذكرها. وعند تواجده في أي مدينة من مدن بلاد السودان نجده يتحدث عما رآه بأم عينه، فيكون عرضه للمادة العلمية بأنه يبدأ باسم المدينة ثم الموقع الجغرافي فيحدد حدودها ويبين طرقها ومسالكها، ثم يصف الجانب الاقتصادي من خلال عرض الموارد والمحاصيل والمعادن والصناعات والتجارة التي تمتاز بها كل مدينة، وصلاتها التجارية مع جيرانها ومع شمال إفريقيا وكذلك أوربا، بالإضافة إلى العملة المتعامل بها، ثم الجانب الاجتماعي من خلال ذكر عادات أهل المكان وخصائص سكانها وطباعهم، ثم ينتقل إلى الجانب السياسي بإلقاء الضوء على تاريخ هذه الممالك ووصف وضعهم السياسي، حيث نجد هذا النموذج متبع في مدينة جني، لكن لم يتبعه على سائر مدنها. فهناك تباين واختلاف في إعطاء المعلومات فبعض المدن معلوماتها وافية، والبعض الآخر جاءت مختصرة، ويبدو أن ذلك ليس إتباعا لمنهج محدد بل تبعا للمادة المتوفرة لديه، فإن كثرت عنده المعلومات أورد عنها صفحات مثل تنبكتو ذكرها في أزيد من صفحتين، وبعض المدن لا تتجاوز خمسة أسطر مثل مدينة زنفرى.

كما وثق ملاحظاته على الجانب الاقتصادي لبلاد السودان ،باستعماله مقاييس ومكاييل معتمدة أثناء إقامته بايطاليا، حيث ألم بأهم الموازين والمنتوجات الزراعية والصناعية الموجودة عندهم وقارنها بالإيطالية، إذ نجده استعمل مقياس "كنة" وهو مقياس إيطالي قدره مترين، واستعمل "الديسة" وهو مكيال إيطالي قدره عشرة أرطال، كما بين لنا أن الودع في تنبكتو عملة، إذ تقدر ستة مثاقيل وثلثي مثقال بأوقية رومانية من الذهب[49]. وقارن المنتوجات الزراعية في بلاد السودان بمنتوجات أوربا ،حيث ذكر أن الذرة البيضاء المزروعة بولاته لا توجد بأوربا[50]، وأشار إلى الأرز المزروع في مملكة كوبر لم يراه في إيطاليا، ويعتقد أنه موجود في اسبانيا[51]. أما عن المنتوجات الصناعية في بلاد السودان فقد شبه صناعة الأحذية في مملكة كوبر بتلك التي ينتعلها الرومان في القديم[52]، بالإضافة إلى أنه قارن أسعار السلع التي وجدها أثناء رحلته لها بتلك الأسعار التي رآها في إيطاليا مما يوحي لنا أنه شخص أوربي أكثر من مغربي، فهل يعود ذلك لتأثره بالنهضة الإيطالية في إطار مبدأ التقية حتى

يأمن سلامته ومصلحته الشخصية؟ وهل هذا التأثر قاده إلى تدوينه للنص الأصلي لكتاب "وصف إفريقيا" في إيطاليا باللغة اللاتينية أثناء أسره بها؟ مما يفسر لنا عدم وجود نص أصلي مكتوب باللغة العربية؟

إن نزاهة الحسن الوزان وموضوعيته وحياده التام، وهذا المنهج الذي سلكه في توثيقه لكتاب "وصف إفريقيا" وعبر عنه في قوله: "...لا يخفى علي ما يصيبني من خجل عندما أعترف وأكشف عيوب الأفارقة فإفريقيا في الواقع هي التي أرضعتني وفيها كبرت وقضيت أجمل وأطول قسط من حياتي، لكن عذري عند الجميع هو ما اضطلع به من دور المؤرخ الذي يلزمه قول الحق دون أي اعتبار ولا إرضاء رغبات أي كان، ذلك هو السبب الذي اضطررت من أجله اضطرارا إلى أن أكتب ما أكتب إذا أردت ألا ابتعد عن حقيقة في شيء وأن أترك جانبا محسنات الأسلوب وزخرف القول..."[53]، حيث ساق هذا المبرر لذكره جملة من صفات سكان بلاد السودان ،فنجده يصف فئة المتحضرين الذين يقطنون المدن واعتنقوا الإسلام بالأخلاق الحميدة، فذكر أنهم يعيشون عيشة حسنة أوفياء ويحسنون استقبال الغرباء ويقضون أوقاتهم في اللهو والمجون ويحبون كل أنواع التسلية، ويمتازون بصفة الصراحة، ويعظمون العلماء والفقهاء ويوقرونهم[54]. لينتقل بعد ذلك إلى ذكر صفات فئة غير المتحضرين الذين يقيمون في المداشر والقرى ولم يعتنقوا الإسلام بعد، بأنهم بدائيون يلبسون جلود النعام في الشتاء وفي الصيف يمشون عراة حفاة، غير أنهم يسترون عوراتهم بمئزر صغير، وينتعلون بنعال جلود البعير، ويعيش هؤلاء القوم في جهالة لا يعرفون القراءة والكتابة[55].

إن المتتبع لسرد الأحداث عند الحسن الوزان عن قسم بلاد السودان يتضح من خلال عرضه للمادة لم يثبت لنا حقيقة مشاهدته وصحة معلوماته التي يقدمها عن هذا القسم، مثلا أنه لم يثبت لنا لقاءه بالملوك والأعيان والعلماء رغم زيارته لمملكة برنو ومملكة سنغي مرتين، كما لم يتصف بالدقة الزمنية في تسجيل مشاهداته اليومية حسب وقتها باليوم والشهر والسنة، فأثناء تنقله لا يولي عناية وأهمية لذكر تاريخ زيارته لهذه الممالك وترتيبه لها، ولا يتحدث كيف انتقل من مدينة إلى أخرى، فهل يعود السبب إلى ظروف الأسر في روما؟ وبعده عن المكتبات ببلده في المغرب الأقصى؟ هذا ما جعله يعتمد على ذاكرته وما علق بها من أحداث عن بلاد السودان بالرغم من أن الوصف الجغرافي عنده يتميز بالدقة، وقد أورد في متن كتابه عبارات توحي على ذلك في قوله"... لكن ذاكرتي الواهية لم تتمكن من استذكارها بما هو أهم"[56]. كما يلجأ في بعض الأحيان إلى الأسلوب الخفي، إذ ينحصر في إغفال بعض التفاصيل والسكوت عن بعض الأحداث ،هذا ما لمسناه في عدم إفصاحه لنا فحوى رحلته الأولى الذي كان موفدا بسفارة مع عمه من قبل الملك الوطاسي إلى ملك سنغي فلم يذكر لنا تفاصيلها، كما لم يذكر دور المغيلي (ت909هـ-1504م) في بلاد السودان رغم معاصرته له في نشر الدعوة الإسلامية.

ثالثا / معالجته بعض قضايا بلاد السودان في "وصف إفريقيا" :

1- طبيعة بلاد السودان :

قسم الحسن الوزان إفريقيا إلى أربعة أقسام ،بلاد البربر ونوميديا وليبيا وجعل قسمها الأخير بلاد السودان، فحدد موقعها الجغرافي حسب رأيه على أنها تبتدئ شرقا بمملكة كاوكا، ويمتد غربا إلى مملكة ولاته ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا وينتهي جنوبا إلى المحيط[57]. وأثار اهتمامه إشكالية التعمير فبين أنها عمرت قبل إفريقيا وعبر عن ذلك في قوله: "... إفريقيا في القديم كانت خالية من السكان باستثناء أرض السودان..."[58]. كما حدد أصول بعض ملوك السودان كملك تنبكتو وملك مالي السابق وأكداز، أنهم من أصول صنهاجية[59]. وأظهر أثناء زيارته لبعض ممالكها أهم اللغات الموجودة فيها، فذكر بوجود لغات متباينة منها لغة "سنغي"، فحدد انتشارها في السودان الغربي في كل من ولاته وجني وتنبكتو ومالي وكاغو، أما لغة "كوبر"فحدد مجالها في بلاد الهوسا في كل من كوبر وكانو وكاسنا ونكرة، كما ذكر أنه في السودان الأوسط توجد لغة في بورنو تشبه اللغة المستعملة في كَاؤكَا، وكذلك في السودان الشرقي هناك خليط بين اللغة العربية والسريانية والقبطية في مملكة النوبة [60]. وتطرق للمناخ السائد في بلاد السودان فوصف لنا أن الفصول تتقدم في هذه البلاد، فتظهر بوادر المطر في نهاية يوليوز غير أنها لا تمطر بغزارة، وتتميز بعدم النفع ولا الضرر. وتحدث عن مياه نهر النيجر أنها تكفي حقول القمح، وأن فيضانه يرطب الأرض ويخصبها ويكون في نفس الوقت مع نهر النيل وتكون بدايته في 15 من يونيو ومدة فيضانه 40 يوما، وأن أثناء فيضانه بإمكان أي إنسان أن يقطع كل بلاد السودان تقريبا على ظهر زورق بسبب أن المنبسطات والشعاب والحفر تصير كلها وديانا[61]، كما كانت له محاولة استكشاف لهذا النهر حيث أشار أنه يشق أرض السودان ويخرج من فلاته تدعى "ساوو" وينبع من البحيرات العظيمة يقصد بها بحيرة التشاد، وأعتقد أنه فرع من فروع النيل وهذا الاعتقاد هو السائد عند الجغرافيين العرب في العصور الوسطى، وذكر الرواية التي تقول أنه ينبع من جبال تقع في الغرب ثم يتجه نحو الشرق ليتحول إلى بحيرة، ولم يقتنع بذلك، وللتأكد قام بالإبحار فيه فتتبع مجرى المياه شرقا من تنبكتو وصولا إلى مملكتي جني ومالي، وكلتاهما واقعتان غربي تنبكتو[62]. كما قارن عمر إنسان بلاد السودان بالأجناس الأخرى فوجده أقل عمرا منها، ولاحظ أن أجسادهم تبقى سليمة وقوية وأسنانهم سالمة لا تتغير. وأثناء زيارته شاهد أن الوباء لم يظهر قط بأرض السودان، لكن هناك بعض الأمراض المنتشرة مثل مرض الأعصاب يصيب فئة النساء، كما أنها مكان لعلاج بعض الأمراض حسب رأيه مثل داء الإفرانج (الزهري) المنتشر كثيرا في بلاد البربر ،حيث يشفى المصاب به بمجرد أن يبدل الهواء ويذهب إلى بلاد السودان[63].

2- وصفه لتجارة الرق في بلاد السودان:

ومن القضايا التي شغلت اهتمامه تجارة الرق، لاحظ أن مدينة كاغو التي تمثل العاصمة السياسية لمملكة سنغي توجد بها ساحة يباع فيها الرقيق، ويصف لنا سعر الرقيق في بداية القرن العاشر الهجري/16م ،حيث تساوي الفتاة بنت 15 سنة نحو 6 مثاقيل، والفتى تقريبا لذلك، ولا يساوي الأطفال الصغار إلا نصف هذا الثمن بالتقريب، وكذلك العبيد المسنون، كما وصف ملك كاغو أن له عددا كبيرا من العبيد من نساء وجواري وخصيان[64]. وتطرق لمصادر الاسترقاق في بلاد السودان ،فتحدث عن السبي الذي يقع خلال الحروب والغزوات وهذا المصدر من أهم روافد الاسترقاق في المنطقة ،فأوضح ذلك عن ملك سنغي في قوله: "...إذا انتصر باع في تنبكتو كل من أسره في القتال حتى الأطفال..."[65]. وشاهد طريقة بيع الرقيق أثناء زيارته لبلاد برنو، فذكر أن العملية تتم عن طريق البيع أو المقايضة، وأن ملك برنو كان يتاجر مع بلاد البربر ليأتوا بالخيل ويستبدلونها بالعبيد ويأخذون مقابل كل فرس 15 أو 20 عبدا ، ووصف ملك برنو أنه بخيل يفضل دفع الثمن رقيقا على دفعه ذهبا مما يدل على كثرة العبيد في برنو[66].

3- تجارة الخيول في بلاد السودان:

شاهد الحسن الوزان أثناء زيارته لتنبكتو وبورنو أن كثيرا من المناطق تخلوا من الخيول، حيث لا يولد بها الخيل إنما توجد البراذين الصغيرة التي يستعملها التجار في أسفارهم والتجول في المدينة، ومصدرها من بلاد البربر في قوله:"...أما الجياد فتأتي من بلاد البربر..."[67]، ويفهم من كلامه حاجة ملوكهم للخيول خاصة مملكة سنغي وبورنو التي كانتا في أوج قوتهما خلال القرن العاشر الهجري/ 16م ،بهدف استعمالها في الحروب والإغارة. وأعطى لنا صورة عن كيفية شراء الخيول وطريقة نقلها وبيعها ببلاد السودان، فذكر أن سكان بلاد البربر عندما يحققون أرباحا في سنة يقومون بشراء الخيول للمتاجرة بها ويبيعونها إلى التجار الذاهبون لها[68]. كما تحدث عن طريقة بيع الخيول في بلاد السودان، فذكر لنا أنه يتم عن طريق البيع أو المقايضة، فيباع الحصان الواحد بـ40إلى 50مثقالا، ثم يقارن سعرها في أوربا فذكر أنها تباع بـ 10 مثاقيل[69]، أو عن طريق مقايضة الخيول بالعبيد[70]، كما ذكرناه سابقا في تجارة الرقيق. وشهدت تجارة الجمال رواجا في بلاد السودان من قبل تجار نوميديا وليبيا[71].

4- وصفه لندرة الملح في بلاد السودان:

لاحظ أن مادة الملح من المواد المطلوبة والأساسية ،لأنها تعد من أهم البضاعات التي يسيطر عليها التجار المغاربة ويتاجرون بها مع سكان ما وراء الصحراء، وأشار إلى أن الملح منعدم عندهم[72]، وشاهد أنه يستخرج من تغازة ويحمل إلى تنبكتو التي يعوزها الملح كثيرا[73]، لأن مناجم الملح بعيدة عن تنبكتو بنحو 500ميل[74]، كما

وصف حاجتهم لهذه المادة في قوله: "....عندما يأكلون الخبز يمسكون بقطعة ملح في يدهم فيلحسونها مع كل مضغة حتى لا يستهلكوه بكثرة..."[75]. وكان هدف التجار المغاربة من هذه التجارة هو الحصول على الذهب من سكان بلاد السودان، وحدد سعره أنه يساوي ثمن الرطل منه نصف المثقال[76]، وفي بعض الأحيان يصل إلى 80مثقالا في تنبكتو وكان شاهدا على ذلك[77].

5- وصفه لسلع بلاد السودان:

لقد أشار إلى رواج المنتوجات والبضائع التي قَدِمت من أسواق بلاد المغرب الإسلامي إلى أسواق بلاد السودان، ومن بين هذه المنتوجات السكر، الذي ذكر أنه ينبت بكثرة في تِيُّيوتْ بالسوس، وأن تجار بلاد النيجر يقصدونها كثيرا لشراء السكر[78]. كما تنوعت صادرات المغاربة كالزيوت والأغطية والجلود، فذكر أنها تصدر من بزو إلى بلاد السودان[79]، بالإضافة للنحاس والصفر والسلاح الذي تمثل في الخناجر ،كلها تأتي من بلاد البربر[80]. كما تطرق لظاهرة غزو السلع والمنتوجات الأوربية في أسواق بلاد السودان خاصة تجارة القماش والملابس، وكان التجار المغاربة كواسطة بين السودان وأوربا، وهم الذين يعملون على نقل هذه السلع، وأشار لسكان إِفْرَانْ أنهم أغنياء يتاجرون مع البرتغاليين في ميناء غاركسيمة (أكادير)، إذ يأخذون منهم الثياب الخشنة والقماش وغيرها من السلع ويحملونها إلى ولاته وتنبكتو[81]، وهذه السلع المستوردة من أوربا تلقى رواجا كبيرا في أسواق بلاد السودان مثل جني وكاغو وبلاد الهوسا[82]، وأن التجار المغاربة يحققون أرباحا هائلة من هذه التجارة[83]. وحدد لنا أسعار هذه السلع في مدينة كاغو فالقماش في أوربا يباع بأربعة مثاقيل للكنة، والقماش الرفيع مثل "**المنتشينو**" و"**المينمو**" يباع بـ15مثقالا، أما القماش البندقي الرفيع كالقرمزي والبنفسجي والأزرق يصل إلى 30مثقالا، بالإضافة إلى بعض السلع الأوربية مثل السيوف فهي مستوردة بنوعية رديئة لا يساوي ثمنها في أوربا إلا ثلث مثقال، بينما يساوي ثمنه في كاغو بأربعة مثاقيل أو ثلاثة على الأقل[84].

6- مشاكل التجارة الصحراوية :

تطرق الحسن الوزان للمشاكل التي واجهت التجارة الصحراوية، من بينها العوائق الطبيعية وأولها مشكل الماء حيث كان لمواضع المياه دور في تحديد مسار القوافل، وهذه المواضع تتحكم في رسم شبكة الطرق وتحديد اتجاهاتها، وأشار إلى أن الماء يبقى عائقا للتجار خاصة في الطرق الصحراوية المتجهة نحو بلاد السودان، وذكر أن صحراء ليبيا لا يوجد بها نهر ولا ماء باستثناء بعض الآبار ذات الماء الأجاج ،ولا يوجد الماء في بعض المناطق إلا بعد مسافة سفر ستة أو سبعة أيام[85]. أما العائق الثاني صعوبة الطريق عبر صحراء صنهاجة، خاصة طريق ولاته تنبكتو وطريق سجلماسة تنبكتو بأنها قليلة الماء، إذ لا يوجد إلا على مسافة 100أو 200ميلا، بالإضافة إلى أنه

مالح مر يوجد في أبار عميقة جدا، وتوجد مفاوز وبراري منقطعة ،إذ لا توجد منازل على طول مسافة 100 أو 200ميلا مثل بئر أزواد وأروان الذي هو على بعد 150 ميلا من تنبكتو يموت فيها كثير من الناس، وطريق تلمسان تنبكتو مرورا بالصحراء التي يسكنها شعب وَنْزيكة (المرابطون) ينعدم الماء فيه إلا بعد مسير تسعة أيام، فيلجأ التجار إلى الاكتفاء بالماء المحمول على الجمال، أو على ما يعثر عليه أحيانا من غدران ماء المطر، لكن ذلك لا يقع إلا محل الصدفة[86]، وكذلك صحراء تاركة[87] لا يوجد الماء إلا على مسافة يومين وماؤها جيد في آبار عميقة جدا لا سيما في جوار الآير[88]، ووصف لنا طريقة حمل الماء معهم حيث أشار أن الماء يحمل في القرب على ظهور الجمال، ووصف لنا نوعية وطريقة بناء هذه الآبار خاصة الموجودة في طريق فاس تنبكتو، وأشار لوجود بعض الآبار تكون مكسوة من داخلها بجلد الإبل أو مبنية بعظام الجمال، وهي عرضة للرياح والزوابع الرملية التي تعد هي الأخرى من المشاكل الطبيعية، لأن الرياح تحمل الرمال فتغطي هذه الآبار فالتجار المتوجهون لبلاد السودان لم يجدوا الماء في الأماكن المعتادة لأن الرمال غطتها فيموتون عطشا، ويستدل بذلك بالمسافرين الذين غالبا ما يرون عظام هؤلاء الرجال والجمال في بعض الأماكن، فيجبر التاجر لقتل جمله ويستخرج الماء من بطنه فيشرب بعضه ويقسم الآخر إلى أن يجد بئرا أو يموت عطشا. بالإضافة لمشكل ظل الطريق بسبب خطأ الدليل حيث أشار أنه ظل الطريق عندما كان متوجها من ولاته إلى القاهرة[89].

والعائق الثالث تمثل في الحرارة التي تعد من أهم المشاكل التي تعترض تجار القوافل في مسالكهم خاصة في الصحراء، فذكر أن صحراء صنهاجة يموت فيها كثير من الناس نتيجة الحر[90]، وهي شديدة الجفاف لا يمكن اختراقها بسهولة[91]، كما أن طبيعة بلاد السودان تتميز بشدة الحرارة، وتحتوي الصحراء على كثير من الحيوانات المفترسة[92]، والوحوش والحيات[93]. أما العائق الرابع انعدام الأمن وهو من المشاكل التي تحيل كحاجز أمام التجار المغاربة للتوجه لبلاد السودان ،فعادة ما يواجهون العديد من المخاطر الأمنية ،إذ أن التوتر بين إقليمين من بين العوامل المؤثرة سلبا على نشاط القوافل التجارية المتجهة لها، فذكر أن الصراع القائم بين الصحراء التي يسكنها شعب لمطة ووركلة هذه الأخيرة توسعت على حساب إقليمها، فانعكس هذا على القوافل التجارية المارة من هذه الصحراء، فيقومون بسلب ونهب التجار الذين يمرون بها[94]. بالإضافة إلى تعرضهم لقطاع الطرق وكذلك اللصوص الذين يحتلون ويسيطرون على الطرق المؤدية إلى آبار الماء ،وهدفهم قطع الطريق أمام التجار[95]. أما العائق الخامس فتمثل في دفع الضرائب أو ما يعرف الآن باسم الرسوم الجمركية ،إذ أن القوافل في تجارتها عادة ما تدفع ضريبة المرور خاصة على حدود الأقاليم أو في مجال تنقلها، ودفع حسن الوزان إتاوة إلى أميرهم لما وصل إلى أروان[96]، حيث الطريق الرابط بين سجلماسة ودرعة يتم دفع ربع مثقال عن كل جمل، وهو نفس المبلغ المفروض

على كل تاجر يهودي[97]، وكذلك الطريق الرابط بين فاس وسجلماسة مرورا بمدينة الخنك كانوا يرغمون التجار على دفع مبلغ مالي مرتفع[98]، والقوافل التي تقطع صحراء ليبيا تؤدي إلى أميرهم إتاوة وهي عبارة عن قطعة قماش تساوي دينار عن كل حمل جمل[99].

رابعا / الإفادات التاريخية لقسم بلاد السودان:

يعد كتاب "وصف إفريقيا" من كتب جغرافية الرحلات غير أن الباحث في تاريخ بلاد السودان يستفيد منه، حيث يقف على معلومات عنها في مختلف الجوانب التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية وهي متناثرة في ثنايا الكتاب.

1- إفادات سياسية:

في حديثه عن بلاد السودان تناثرت معلومات سياسية مهمة تغطي حقبة تاريخية طويلة تناولت عددا من الإفادات السياسية ،ومن أهمها علاقة الوطاسيين بمملكة سنغي بإقامة سفارة بينهما[100]. كما تحدث عن وجود جاليات يهودية في الحواضر الصحراوية في توات وتيكورارين، وأكد أن لهم نفوذ تجارية في المنطقة، إلى أن تدخل أحد الفقهاء من تلمسان دون أن يشير إلى اسمه ،الذي أمر بطردهم ونهب أموالهم في المنطقة وهو محمد بن عبد الكريم المغيلي حيث قال: ".... كان بعض اليهود الأغنياء يقيمون بتيكورارين ثم تدخل أحد فقهاء تلمسان فأدى ذلك إلى نهب أموالهم وتقتيل معظمهم من طرف السكان..."[101]. كما أشار لحدث سياسي تمثل في تولي أبو بكر أسكيا منصب القائد الأعلى من قبل ملك سني علي في قوله: "...أبو بكر أسكيا...قد عين قائدا أعلى من قبل ملك تنبكتو وكاغو سني علي..."[102]. وتطرق إلى الانقلاب الذي قام به القائد الأعلى على هذا الملك بعد موته فقال:"... وبعد موت سني علي ثار أبو بكر على أبنائه وقتلهم ثم خلص جميع الشعوب السود من ربقة قبائل ليبيا..."[103]. وفي نص آخر مناقض للنص الأخير حيث أشار الحسن الوزان أن أبا بكر أسكيا عندما قام بانقلاب ألقى القبض على سني علي وسجنه في كاغو في قوله: "...ولما فقد سني علي مملكته على يد خلفه أسكيا، أخذ وسجن في كاغو حتى مات"[104]. وبعد تأسيسه لمملكة سنغي وتوليه السلطة قام بضم الممالك المجاورة لها في قوله: "...أنه استولى على عدة ممالك في ظرف ست سنوات..."[105].

وتحدث عن توسعات وحروب أسكيا الحاج محمد في بلاد الهوسا بالاستيلاء على هذه الممالك وإخضاعها له، حيث قتل ملك كوبر وضمها إلى مملكته وأرهق سكانها بالضرائب في قوله: "... ذلك الملك الذي أسره وقتله في أيامنا هذه أسكيا تنبكتو...."[106]، كما ضم مملكة كاتسينا وقتل ملكها وأباد نصف سكانها في قوله: ".....أسكيا قتله وأفنى نصف الشعب وتمكن من مملكة..."[107]، وضم مملكة زكزك في قوله:"...أن أسكيا قتله

واستولى على ملكه..."[108]، كما توسع على حساب مملكة زنفرى في قوله:"...وقد سم أسكيا ملكهم وأباد قسما منهم..."[109]، كما أعلن الحرب على ملك كانو وتزوج إحدى بناته حيث قال:"...أعلن الحرب على ملك كانو وأرغمه بعد حصار طويل على أن يتزوج إحدى بناته ويؤدي له ثلث مورده كل سنة..."[110].

كما انفرد الحسن الوزان بذكر التغير السياسي الذي حدث في بداية القرن العاشر الهجري/ 16م، والذي تمثل في اكتشاف البرتغاليين لسواحل غرب إفريقيا وتمكنهم من إقامة علاقات سياسية مع بعض الممالك الموجودة على هذه السواحل في قوله: "...أما سائر السودانيين الذين يقطنون بساحل المحيط....قد رآهم كثير من البرتغاليين وكانت لهم معهم بعض العلاقات الخارجية"[111]، وكان هدف البرتغاليين من إقامة هذه العلاقات هو تغيير خط تجارة الذهب من طريقها الطبيعي عبر الصحراء الكبرى الذي كان بسيطرة التجار المغاربة نحو سواحل غرب إفريقيا، ولم تظهر أثار هذا التغير ونتائجه السلبية على المراكز الصحراوية المهمة إلا مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري/17م.

وتحدث عن إقليم كَاوْكَا القريب من بلاد النوبة بأن ملكها ربط علاقات سياسية مع سلطان القاهرة ومع رعيته، فحصل هذا الملك على الأسلحة والأقمشة والخيل وكان يدفع ضعف ثمنها متظاهرا بالسخاء، حتى جعل تجار مصر لا يقصدون غير بلاطه وكان لنتيجة سياسته أن وفد عليه عدد كثير من فقراء مصر حاملين بعض الهدايا الجميلة فيدفع إليهم ضعف ثمنها[112]. وأشار لحدث مهم هو بداية استعمال الأسلحة النارية مع مطلع القرن العاشر الهجري/ 16م، فذكر أن للتجار عدد كبير من العبيد يقومون بحراسة الطريق المؤدية من كانو إلى بورنو التي تعيش فيها قبائل يقومون بمهاجمة التجار على الدوام، لذلك يأخذ التجار معهم عبيدا مسلحين كما يجب بالرماح والسيوف والقسي فيما مضى، أما اليوم أصبحوا يستعملون الأسلحة النارية بهدف طرد اللصوص وتأمين الطريق[113].

1- إفادات تاريخية :

أعطى عن بلاد السودان بعض الإشارات التاريخية من أهمها بناء مدينة تنبكتو حيث يقـــول:

"...وتنبكتو اسم مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان عام 610هـ..." [114]، وفي الحقيقة يعود تأسيس مدينة تنبكتو إلى القرن الخامس الهجري/11م وهذا ما أكده عبد الرحمان السعدي (ت1066هـ-1656م) لأن الملك منسى سليمان حكم إمبراطورية مالي سنة (741هـ-1341م/761هـ-1360م)[115]. وتطرق لأصول ملك سنغي أن أصله زنجي في قوله: "...أن ملك تنبكتو الحالي وهو أبو بكر أسكيا من الجنس الأسود..."[116]. وأن أسرة سني من أصل ليبي في قوله:"...سني علي الذي هو من أصل ليبي..."[117]. وتكلم عن قدم الإسلام

في مملكة مالي في قوله: "... كانوا من السابقين في اعتناق الإسلام..."[118]. ولفت انتباهه أثناء زيارته لمدينة تنبكتو أنها تخلو من العنصر اليهودي، وأن حاكم مدينة تنبكتو كان عدوا لليهود في قوله:"...هذا الملك عدو لدود لليهود لا يريد أن يقطن أحد منهم في المدينة، وإذا علم أن تاجرا من بلاد البربر يخالطهم أو يتجر معهم صادر أمواله..."[119]، ومن خلال هذا النص يتضح لنا أثر الشيخ عبد الكريم المغيلي في بلاد السودان لعدائه لليهود.

وتطرق للكتابة التاريخية عن بلاد السودان عند المسعودي (ت346هـ-957م) والبكري (ت487هـ-1094م) اللذان سبقاه في الكتابة عنها بأنهما لم يكتبا شيئا باستثناء واحاتها أو الحديث عن مملكة غانة[120]، كما أن بلاد الزنج لم يتم التعرف عليها في ذلك الوقت[121]، فهل يعود انتقاده للبكري والمسعودي كونهما لم يزورا بلاد السودان؟ أم يرى نفسه أنه أكثر معرفة بها كونه زارها مرتين وكتب عنها كتابة معاين؟ لكن في الحقيقة أن الوزان لم يكن له إطلاع واسع على هذه المصادر ليميز بين محتواها وطبيعة المعلومات الموجودة فيها. إذ تعد فترة ما قبل البكري في القرن الخامس الهجري/11م التي بدأت مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى غاية ابن حوقل (ت379هـ-988م) مرحلة التعرف عن بلاد السودان إذ تمتاز بندرة المعلومات عنها لأن المشارقة هم السباقون في التدوين عن أخبارها في هذه الفترة. أما مرحلة البكري والى غاية الحسن الوزان تعد نقلة نوعية في تعرفنا عن بلاد السودان والانفتاح عنها حيث احتكرت المصنفات المغربية فيها جل المعلومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لتأتي بعدها مرحلة الكتابة الأوربية.

وتطرق أيضا إلى تاريخ انتشار الإسلام في قبائل لمتونة ودورهم في نشره ببلاد السودان، ويقصد بذلك السودان الغربي فهو أكثر تحديدا من مصطلح بلاد السودان، لكنها أوسع مجالا منه لأنها المنطقة التي جرت فيها الأحدث، وذكر أن خضوع قبائل صنهاجة للمرابطين ابتداء من سنة 380هـ تعد نقطة تحول في تاريخ بلاد السودان من خلال بداية التعرف عليها وانتشار الإسلام بها، إذ كانت قبل هذا التاريخ حسب رأيه مجهولة وكانت معيشة سكانها بدائية[122]. لكنه أكد أنه بعد هذا التاريخ تغيرت مظاهر الحياة عندهم أي مع خضوعهم للمرابطين، لأنهم عملوا على نشر الإسلام وتصحيح مفاهيمه لديهم وتخليصهم من البدع والخرافات والرواسب الوثنية، إذ تشير المصادر أنهم نجحوا في إسقاط مملكة غانة والاستيلاء على "كومبي صالح" سنة 1054م [123]. لكن في حقيقة الأمر أن انتشار الإسلام في الصحراء وما ورائها من بلاد السودان لم يكن مع المرابطين ولم يتوقف معهم حسب رأيه، بل كان موجودا قبل قيام دولتهم واستمر بعدها، إذ انتشر الإسلام عبر مراحل وبوسائل متعددة، وهناك شواهد وأدلة تاريخية أكدتها المصادر التي سبقته. فكانت الإرهاصات الأولى له مع بداية الفتح

الإسلامي لبلاد المغرب في منتصف القرن الأول الهجري/7م، فذكرت المصادر أن الفاتحين توغلوا في ديار الملثمين وحملوهم على اعتناق الإسلام فوصلوا إلى أطراف بلاد السودان[124]. بالإضافة لدور التجار الذين ينزلون بالمراكز التجارية في الصحراء وبلاد السودان إذ يؤثرون فيهم بنظافتهم وحسن أخلاقهم، فينتهي احتكاكهم بدخولهم الإسلام، إذ زاولوا النشاط التعليمي والدعوي لنشر مبادئ الإسلام بجانب النشاط التجاري[125]. بالإضافة لدور الدعاة الذين عملوا على ترسيخ الإسلام وتثقيف الناس بأمور دينهم بتشييدهم المدارس والمساجد، حيث أكد البكري أن مملكة غانة بها 12 مسجدا وعدد كبير من الفقهاء والدعاة وطلبة العلم[126]، يحضون بالاحترام والتقدير من قبل ملكها وسكانها.

كما لعبت هجرات القبائل العربية دورا كبيرا في نشر الإسلام ببلاد السودان وتعريبها كهجرات عرب الشوا وقبائل ربيعة وجهينة إلى السودان الشرقي والأوسط، بالإضافة إلى هجرات قبائل بني هلال وبني سليم إلى الصحراء الكبرى وبحيرة التشاد وحوض النيجر والسنغال، من خلال ارتباطهم بعلاقة المصاهرة مع سكان هذه المناطق[127]. إلى جانب ذلك الطرق الصوفية التي تزامن انتشارها ببلاد السودان مع رحلاته إليها خاصة الطريقة القادرية التي عملت على نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية والقضاء على الوثنية، عن طريق محمد بن عبد الكريم المغيلي إذ يعد من نشرها تعاليمها في إقليم توات وبلاد الهوسا ومملكة سنغي[128]، لكن الحسن الوزن صمت عن هذه الأحداث فلم يشر لدورها وناشرها رغم معاصرته لهم.

3-إفادات ثقافية:

بين الحسن الوزان في حديثه لبعض الجوانب الثقافية لبلاد السودان وهي جديرة بالذكر والوقوف عندها، فذكر لنا رحلة الحج التي قام بها أسكيا أبو بكر محمد حيث قال:"...ولما فرغ من نشر الإسلام والهدوء في مملكته رغب في الحج إلى مكة وأنفق في هذا الحج كل ماله واقترض 50 ألف مثقال..."[129]. كما لفت انتباهه كثرة المساجد المنتشرة في مملكة مالي فضلا عن كونها أماكن للعبادة وتدريس طلاب العلم من قبل العلماء والفقهاء الذين اتخذوا من هذه المساجد معاهد لتدريس العلوم الدينية لقلة المدارس بها، وهذا ما ذكره عندما وصف الجانب الثقافي لها حيث قال: "... ولهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم المدارس..."[130]. وأشار عند زيارته لتنبكتو أنها حظيت بمكانة مرموقة في عهد الأسكيين، من خلال رعاية الملوك وتشجيعهم للحركة العلمية في تنبكتو وذلك باحترام العلماء والفقهاء والقضاة والأئمة في قوله: "... وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا ويعظم الأدباء كثيرا..."[131]، أوفي قوله:"....يعظمون العلماء والفقهاء ويوقرونهم..."[132]. وأشاد عند زيارته لإقليم كَاوْكَا بملكها أنه يحترم المثقفين وخاصة آل البيت في

قوله: "...ويعامل المثقفين لاسيما آل البيت بكثير من الاعتبار والإعزاز..."[133]. كما ساهمت التجارة الصحراوية في ازدهار تجارة الكتب والمخطوطات بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان، وقد شاهد ذلك أثناء زيارته لحاضرة تنبكتو واتضح ذلك في قوله: ".... وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع..."[134].

2- إفادات دينية :

كما تطرق إلى قضية المعتقد الديني لدى بلاد السودان فرسم لنا خريطة لها، فذكر أن بعض السودانيين كانوا يعبدون "كيغيمو" ومعناه في لغتهم "رب السماء"، وبعضهم يعبدون الشمس ويسجدون لها بمجرد أن يرونها تبرز في الأفق، والبعض يعبدون النار كأهل ولاته، وبعضهم الآخر مسيحيون عن طريق المصريين وهم سكان ناحية كاوكا[135]. كما ذكر أنهم اعتنقوا الديانة اليهودية لفترة طويلة، ويذكر كذلك أن بعض الممالك السود مازالوا متمسكين بالمسيحية إلى الآن دون أن يذكر أسماء هذه الممالك[136]. وفي حديثه عن بورنو ذكر أنه لا ديانة لهم لا نصرانية ولا يهودية ولا إسلامية ولا إيمان لهم وأنهم يشبهون البهائم[137]، أما الديانة النصرانية أشار أنها منتشرة في أثيوبيا. كما ذكر أن السودانيين الذين يعيشون بالسودان الغربي على ساحل المحيط الأطلسي مازالوا وثنيين يعبدون الأصنام مستشهدا في ذلك بالبرتغاليين في قوله:"... فما زالوا وثنيين يعبدون الأصنام، وقد رآهم عدد كثير من البرتغاليين..."[138].

5- إفادات اقتصادية:

كما وردت بعض الإفادات المقتضبة حول النشاط الاقتصادي خلال رحلاته لبلاد السودان، التي كانت في العقد الأول والثاني من القرن 16م، ولفت انتباهه الأقاليم القريبة من نهر النيجر بأنها ارض صالحة للزراعة لأن فيضانه يؤدي إلى تخصيب الأراضي المجاورة له، إذ أن الفلاحين يعتمدون بالدرجة الأولى على مياهه في ري أراضيهم ومحاصيلهم الزراعية التي تعتمد في معظمها على كميات كبيرة من المياه، والتي يوفرها لها هذا النهر وتتجلى في زراعة الحبوب، إذ ذكر لنا بعض النماذج كزراعة القمح والشعير والدخن والأرز التي تعد المصدر الأساسي لمعاش الناس. حيث يشر أن القمح ارتبطت زراعته على ضفتي نهري النيجر والنيل لأن مياههما تكفي ريه[139]. أما الشعير فذكر أن زراعته ترتكز في جيني، وفي كتسينا لأن أراضيها صالحة له، وأشار إلى أنه محصول ينتج بكمية كثيرة في هذه المدن[140]. أما عن زراعة الدخن الذي يستعمل كبديل للقمح فاشتهرت بإنتاجه كل من زنفرى وكتسينا بكميات وفيرة، وفي ولاته يزرع بنسبة أقل[141]. أما الأرز فقد سادت زراعته في أغلب مدن بلاد السودان، والذي يعد مصدر غذاء رئيسي لهم، وكان ينتج في مدن مملكة سنغي، وفي بلاد الهوسا بكميات

وفيرة[142]. بالإضافة إلى السكر فقد أشار أن زراعته ترتكز في بلاد النوبة بالسودان الشرقي ويصف هذا المحصول أنه كثير الإنتاج عندهم نظرا لوفرة المياه على طول نهر النيل[143]. كما أشار لزراعة القطن الذي يعد من المحاصيل الهامة لأنه مادة أولية في صناعة النسيج، وذكر لنا وفرة هذا المحصول في مدينة مالي وكانو وزنفرى[144].

وتطرق إلى بعض المزروعات الأخرى كالخضر التي تزرع في الأراضي الخصبة المجاورة لنهر النيجر، كزراعة اليقطين والخيار والبصل التي تنتج بكثرة. أما الفواكه فذكر أنها قليلة جدا في بلاد السودان حسب رأيه وتكاد تكون منعدمة في مملكة سنغي إذ لا تحتوي على أي شجرة مثمرة، باستثناء شجرة جوز الكولا الغنية بمادة الكافيين المنشطة حيث يستعمل في صناعة الأدوية والمشروبات[145]، بالإضافة للبطيخ المزروع في كاغو[146]. ولهذا لجئوا إلى استيراد التمر من المغرب الإسلامي كبديل للفواكه عندهم. أما بلاد الهوسا فأشار أنها تحتوي على بعض الحمضيات كالبرتغال والليمون البرى التي تتركز في كاتسينا وزنفرى [147]. كما لم يتحدث عن أساليب الزراعة ومصادر السقاية في بلاد السودان بل اكتفى بذكر الآبار والأنهار الموجودة عندهم، ولم يتطرق لنظام ملكية الأراضي الزراعية في هذه المدن.

وتطرق للثروة الحيوانية التي تزخر بها بلاد السودان فلاحظ أن أراضيها كانت مرتعا ومرعى لمختلف الحيوانات مثل الأغنام والماعز والأبقار والجمال، حيث ذكر أن تربية الأغنام تعد من أهم المصادر الأساسية لكسب العيش بها وترتكز تربيتها في تنبكتو وكانو. بينما انحصرت تربية الأبقار عنده في مدينة كوبر وكانو التي تستخدم كوسيلة في الدرس والحرث[148]. أما عن تربية الإبل الذي أطلق عليها اسم "سفينة الصحراء" لعبت دورا بين ضفتي الصحراء كوسيلة للتنقل ومصدرا للرزق[149]. حيث تعتبر تربية هذه الحيوانات مصدرا لإنتاج اللحوم والحليب ولاحظ وفرتها بكميات كبيرة، بالإضافة إلى مصدر الصوف ووبر الإبل والجلود. كما تحدث عن الأسماك كمصدر لغذاء سكان بلاد السودان، لوفرته في نهري النيل والنيجر وبحيرة التشاد[150]. كما أشار إلى وفرة منتوج العسل في بلاد السودان خاصة مدينة كوبر، مما يوحي لنا أن سكانها مارسوا تربية النحل، إذ يعتبر غذاء وزيادة على ذلك هو دواء حيث حث القرآن الكريم على الاستشفاء به[151].

كما شاهد ممارستهم لبعض الحرف في مدن بلاد السودان حيث لاحظ أن في تنبكتو تكثر فيه دكاكين ناسجي الأقمشة من القطن لوفرته[152]. ومملكة كوبر اشتهرت بالاسكافيين الذين يصنعون الأحذية ويصدرونها لتنبكتو وكاغو. إلى جانب حرفة رعي الغنم والبقر لتوفرها على كميات كبيرة[153]، مثل كاغو وبلاد الهوسا أنهم يمارسون نشاط الفلاحة والرعي[154]. أما مملكة زَكْزَكْ ذكر أن سكانها أغنياء يمارسون التجارة[155]. أما عن مدينة النوبة ذكر أنهم يمارسون تجارة القماش والسلاح مع مصر[156].

كما أشار للعملة المستعملة في بلاد السودان، فذكر أن العملة الرائجة عندهم هي الذهب غير المسكوك أي التي لا تحمل نقوشا ولا رسوما، وهذا ما يوضح لنا أن بلاد السودان لا تملك دُور لصناعة السكة. كما شاهد طريقة التعامل في استعمال قطع الذهب الخالص، فقد ذكر أن ملك تنبكتو يملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية تزن الواحدة منها 1300 رطلا[157]. واستعملوا أيضا قطع الحديد لشراء أشياء تافهة كاللبن والخبز والعسل، وتزن هذه القطع رطلا أو نصف رطل أو ربعه[158]. وكذلك الودع وهو صدف مستورد من بلاد فارس[159]. كما تطرق إلى تجارة الذهب ومكان تواجده وكيفية نقلة، وأشار إلى تجار ونكرى هم الذين يقومون بمتاجرة الذهب، حيث يتوجهون إلى بلاد الذهب فيجتازون الجبال العالية الوعرة إذ لا تستطيع الدواب أن تمر بها، وأشار إلى طريقة حمله من ونكرى إلى بلاد الذهب عن طريق الخدم الذين يحملون على رؤوسهم البضائع في قشور قرع عريضة عميقة يقطعون مسافة 10 أميال أو أكثر حاملين على رؤوسهم 100 رطل، ورأى الحسن الوزان أنه من يقطع هذه المسافة مرتين في اليوم وهذا ما يسبب لهم فقدان الشعر على الرأس بسبب الوزن الثقيل حسب رأيه[160].

كما لاحظ ازدهار عدة مدن صحراوية بسبب التجارة مع بلاد السودان والتي أصبحت من المراكز التجارية المهمة خلال القرن العاشر الهجري/16م، وأوضح لنا أثناء زيارته لهذه المراكز أنها تتميز عن بعض المدن الصحراوية بأن سكانها أغنياء بسبب نوعية السلع التي يصدرونها، أو كونها مجمع القوافل بين تجار بلاد المغرب الإسلامي وتجار بلاد السودان. إلى جانب ربط علاقات تجارية مع بلاد السودان بفضل الرحلات التي يقوم السكان بها فذكر إقليم تيكورارين في قوله: "...وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان "[161]، أو في قوله عن مدينة سجلماسة: "...وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان..."[162]، أو في قوله عن مدينة ميزاب: "...سكانها أغنياء وهي أيضا على رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر وبجاية بتجار أرض السودان..."[163]، أو في قوله عن مدينة غدامس: ".....سكانها أغنياء...لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان..."[164].

6- إفادات اجتماعية:

كـما تضمن كتاب "وصف إفريقيا" في حديثه عن بلاد السودان بعض القضايا الاجتماعية التي تكتسي أهمية، واتضح ذلك من خلال وصف عادة اللباس كارتداء الحجاب عند النساء في تنبكتو في قوله: "ما زالت نساء المدينة محتجبات باستثناء الجواري..."[165]. ويذكر أن من عادات سكان جني لباسهم للثام الأزرق لعامة الناس في قوله: "...يرتدي أهل هذه القرية لباسا حسنا ويتلثمون بلثام كبير من القطن الأسود والأزرق

يغطون به حتى رؤوسهم..."[166]. والملاحظ أنه دقيق في وصفه ومشاهدته، حيث ذكر لنا أن الفقهاء والأئمة لهم لباس خاص يتميزون به عن العامة في قوله: "...لكن الأئمة والفقهاء يتلثمون باللثام الأبيض..."[167]. وأن سكان كاغو وبورنو يرتدون في فصل الشتاء جلود النعام، وفي فصل الصيف يمشون عراة حفاة، غير أنهم يسترون عوراتهم بمئزر صغير، وينتعلون أحيانا بنعال جلد البعير[168]، وهذا اللباس الشبه السائد عندهم.

وتطرق إلى نمط بناء منازلهم فأشار أنها عبارة عن قرى ومداشر متناثرة ولم تكن على هيئة ومواصفات نمط المدينة[169]، فعاين ذلك عند زيارته إلى تنبكتو وجني وكاغو وبلاد الهوسا[170]. فوصف لنا أن دور تنبكتو عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد ومملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن، وهذا النمط من البناء موجود أيضا في جني وهو السائد في بلاد السودان[171]، الذي يمتاز بسرعة الاحتراق حيث ذكر أن تنبكتو تعرضت لخطر الحريق بسبب الرياح القوية، حيث شاهد احتراق نصفها في ظرف اقل من خمس ساعات أثناء إقامته بها في الرحلة الثانية[172]. أما وسط المدينة يوجد مسجد مبني بالحجر المركب من الطين والجير وقصر كبير على النمط الأندلسي، يعود الفضل في بنائه لمنسى موسى (ت737هـ-1337م) سلطان مالي فبعد عودته من الحج اصطحب معه مهندسا معماريا أندلسيا هو أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطويجن (ت746هـ-1346م) حيث كلفه ببناء هذا المسجد الكبير والقصر[173].

كما وصف لنا بلاط ملك سنغي لما زار تنبكتو، حيث أشاد بأن البلاط الملكي في غاية التنظيم والأبهة وصور لنا طريقة خروج الملك من مدينة إلى أخرى، حيث ترافقه حاشيته وبمتطي جملا وتقاد الخيول بأيدي الخدام السيافين، وذكر لنا حالتهم في الحرب حيث يعقل السيافون الإبل وبمتطي جميع الجنود الجياد. أما عن تحية الملك عند أهل تنبكتو فكلما أراد شخص أن يخاطب الملك يحثو بين يديه ويأخذ التراب ويحثوه على رأسه وكتفيه وهذه طريقة الإجلال عندهم، لكنها لا تفرض إلا على من لم يسبق لهم أن خاطبوا الملك أو على السفراء. وأثناء إقامته بتنبكتو لاحظ من صفاتهم أنهم فُطروا على المرح والتجول في المدينة، خاصة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا، وهم يعزفون آلات الطرب ويرقصون [174]، ومن مزاياهم الحميدة أن الخمر منعدم عندهم[175].

7- إفادات جغرافية بشرية:

حدد لنا الموقع الجغرافي لكل مدينة زارها مع ذكر عدد سكانها في بعض الأحيان، فذكر أن مملكة غينيا يسميها التجار الأفارقة "كْنَاوَة"، والأهليون "جني"، ويطلق عليها البرتغاليون اسم "غينيا"، ويحدها شمالا ولاته تفصل بينهما مسافة نحو 500ميلا عبر الصحراء، وتنبكتو في الشرق، ومالي في الجنوب، وتمتد جني على طول نهر النيجر على مسافة 250ميلا، ولها جزء على المحيط في الغرب [176]، دون أن يذكر عدد السكان. ومملكة

مالي متاخمة لمملكة جني من الشمال وتمتد غربا إلى المحيط وشرقا إلى كاغو وتضم 6000 كانونا. وأشار لمملكة تنبكتو أنها تبعد عن إحدى فروع النيجر بـ12 ميلا[177]. كما أشار إلى مدينة كبرة عندما زارها أنها تبعد عن تنبكتو بنحو 12ميلا. أما مدينة كاغو بعيدة بنحو 400ميلا عن تنبكتو ولاحظ أن سكانها متحضرون عن تنبكتو[178]. أما مدينة كوبر فهي تبعد بنحو 300ميلا شرق مملكة كاغو وتبعد عن النيجر نحو 40ميلا، ومن بين قرى هذه المملكة توجد قرية تضم 6000 كانونا يسكنها تجار الكوبريون ووصف سكان هذه المملكة أنهم متحضرون على العموم[179]. أما كانو فذكر أنه إقليم واسع جدا يبعد نحو 500ميل شرقي النيجر، ويسكنها عدة شعوب دون أن يذكر لنا أسمائها.

وفي وصفه لمملكة كاتسينا ذكر أنها مملكة مجاورة لكانو من جهة الشرق، وأن كل قرية من المملكة تضم 300كانونا. أما مملكة زَكْزَكْ ذكر أنها تتاخم كانو من جهة الجنوب الشرقي، وتبعد عن كاتسينا بنحو 50ميلا، تتكون من إقليمين إقليم شديد الحر والآخر شديد البرد. وذكر أن مدينة زَنْفَرَى تتاخم مملكة زَكْزَكْ من جهة الشرق ووصف شعوبها بأنها حقيرة بدائية. وأن مملكة وانْكَرَة متاخمة لمدينة زَنْفَرَى من جهة الجنوب الشرقي، وهي مؤهلة بالسكان. أما عن زيارته لمملكة بورنو ذكر أنه إقليم كبير يتاخم وانْكَرَة غربا، ويمتد نحو الشرق على مسافة 500ميلا، ويبعد عن منبع النيجر بنحو 150ميلا، كما يحدها جنوبا صحراء ساتو شمال ليبيا[180]. أما عن مدينة كَاوْكَا ذكر انه إقليم يتاخم بورنو شرقا إلى حدود مملكة النوبة الواقعة على النيل، وينتهي جنوبا بصحراء تتاخم منعرجا للنيل، وشمالا إلى صحراء سرت وتخوم مصر، وتمتد هذه المملكة من الغرب إلى الشرق على نحو 500ميلا، وعلى نفس المسافة عرضا بالتقريب. كما ذكر أن مدينة النوبة تتاخم كَاوْكَا غربا، وتمتد على طول النيل جنوبا، وأراضي مصر شمالا، ومن أهم مدنها "دُمْقُلة" وهي عامرة بالسكان وذكر عدد كوانينها قرابة 10آلاف[181].

الخاتمـــة :

وفي الختام لا بد لنا من عرض النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة ويمكن إجمالها في الأتي:

عاش الحسن بن محمد الوزان طفولته في الأندلس معاصرا لسقوطها، منتقلا بعدها للمغرب الأقصى خادما للوطاسيين، حاضرا لظهور السعديين في السوس الأقصى، وشاهدا على سقوط مدنها الساحلية في يد البرتغاليين والاسبان. أما عن مقامه في ايطاليا فقد عاصر بداية ازدهار النهضة الايطالية ومشاركا في عصر الأنوار الذي ستعرفه أوربا، فكان لامتزاج هذه الثقافات الأندلسية والمغربية والغربية الأثر على حياته ومؤلفه "**وصف إفريقيا**"،

فاتسعت ثقافته ومعارفه وتعددت العلوم التي تعامل بها في كتابه خاصة قسم بلاد السودان كالطبيعة والجغرافيا وعلم الاجتماع والطب واللغة فأثرت في قدرته على الوصف والملاحظة والتحليل والاستنتاج.

اعتمد في توثيقه عن قسم بلاد السودان على منهج المشاهدة الشخصية، إذ حكى لنا تجربته عن رحلاته لها. لتأتي بعدها المصادر المسموعة أو المروية من طرف شهود عيان، فهو لم يكن مجرد ناقل فقط بل كان متقصيا وفاحصا فبرز ذلك من خلال منهجه، الذي لم يعتمد على المنقول بل عمد إلى الرحلة الميدانية لتأكيد معلوماته، عكس بقية الأقسام الأخرى الذي مزج في توثيقه لها بين المشاهدة والمصادر المكتوبة. وقد تزامنت كتابته لمصنف "وصف إفريقيا" مع بداية الكتابات التاريخية السودانية التي بدأت مع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي مع محمود كعت "تاريخ الفتاش" وعبد الرحمان السعدي "تاريخ السودان"، ومع مؤلفات أحمد بابا التنبكتي، لمقارنة مدى تطابق معلوماته مع تلك التي وردت في هذه المصادر.

لا يمكن للباحث عن فترة العصر الحديث أن يستغني عن كتاب "**وصف إفريقيا**" لأن حسن الوزان يعد آخر الرحالة المغاربة الذين زاروا بلاد السودان، حيث حاول أن يتفحص فيه دقائق الأمور ليعطي لنا صورة متكاملة جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية. كما ألفه في فترة أخذت تشح فيها الكتابة المغاربية عن بلاد السودان، فأصبح مصدرا أساسيا خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، لأنه يفيد في التعرف على جغرافيتها التاريخية من خلال انتشار الإسلام في المنطقة ونشأة الممالك وأصولها والطرق التجارية التي كانت تصل بين شمال إفريقيا وبلاد السودان في تلك الفترة. كما يعد مصدرا معاصرا لأسرة أسكيا ومؤسسها الأول الأسكيا الحاج محمد في رحلته الأولى والثانية إلى مملكة سنغي إذ زار عاصمتها الثقافية تنبكتو والعاصمة السياسية غاو وبعض مدنها، كما يعد المصادر المعاصرة التي أرخت لتأسيس وتوسعات الأسكيا الحاج محمد في الأقاليم المجاورة، ونشأة ممالك الهوسا بشمال نيجيريا، وبداية كشف سواحل غرب إفريقيا من قبل البرتغاليين.

كما أغفل عن ذكره لأهم تفاصيل الأحداث التي وقعت في بلاد السودان سواء القريبة منه أو التي عاصرها وبخاصة الأحداث التي زامنت رحلته الأولى والثانية، حيث لم يذكر الجانب الثقافي لها بالتفصيل خاصة في مملكة سنغي وهي تعيش مرحلة الازدهار الثقافي والحضاري مع مطلع القرن العاشر الهجري، وفي هذه المرحلة كانت فيها القيادة والريادة للعلماء والفقهاء الأفارقة الذين ساهموا في الحضارة الإسلامية بإنتاجهم العلمي دون أن يذكر لنا أسماء المؤسسات الدينية والنخب العلمية. كما لم يشر إلى الدور السياسي والديني للمغيلي في بلاد السودان، حيث اكتفى بالإشارة إلى زيارته لمملكة سنغي. كما أنه لم يشر إلى موطن قبائل الهوسا ومتى انتشر الإسلام فيها، ولم يذكر تاريخ قيام مملكة بورنو.

إن الباحث في شخصية الحسن الوزان في هذا المجال الصغير لا يعطيه حقه من الدراسة لا يزال يكتنفه الغموض في بعض جوانب حياته التي لم ترى النور بعد، ولهذا فالمجال مفتوح للإلمام بها في بحوث أخرى.

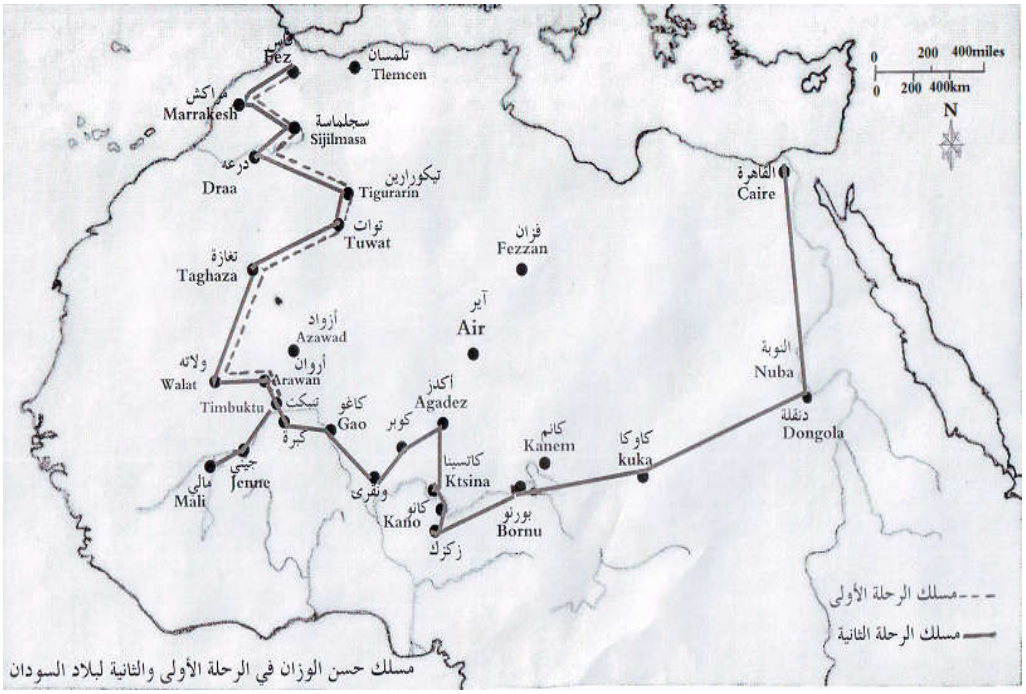

الهوامش:

(1) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، ط2، ج1، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضري، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص284.

(2) المصدر نفسه،ج1، ص6.

(3) علي بن عبد الله الدفاع: **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، 1993م، ص242.

(4) استنتجنا تاريخ ولادة الحسن الوزان من خلال مقارنتنا لمعطيات وردت في كتابه حيث أحال أنه ذهب إلى أسفي وهو في سن 12من عمره ولم يقابل حاكمها إلى بعد مرور 14سنة أي أن عمره 26سنة حيث كان ذلك سنة 920هـ ويقابلها 1514م وبهذا يكون تاريخ ولادته في حدود سنة (893هـ-1488م)، ينظر: الحسن الوزان: مصدر سابق، ج1، ص151.

(5) شوقي عطا الله الجمل: "الحسن بن محمد الوزان وإنتاجه الفكري والمؤثرات التي تأثر بها"، **مجلة المناهل**، (المغرب)، ع/2، السنة الثانية، نوفمبر 1975م، ص239.

(6) محمد عبد الخالق محمد فضل وآخرون: **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، ج21، الرياض-المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999م ص318.

(7) ولد بأصيلا حوالي (870هـ-1465م) وهو ثاني ملوكهم ويعود لقبه "**بالبرتغالي**" عند الحسن الوزان أنه وقع تحت أسر البرتغاليين مع أخته في مدينة أصيلا ومكث عندهم سبعة سنيين وافتداه أبوه بمال كثير ولما رجع وجده يتقن اللغة البرتغالية وعندما آلت إليه السلطة أصبح يعرف "**بمحمد البرتغالي**"، لما توفي محمد الشيخ الوطاسي عام (910هـ-1505م) بويع ابنه محمد البرتغالي خلفا له الذي توفي سنة (931هـ-1524م)، ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص313؛ أحمد بن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، ج1، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973م، ص114.

(8) الشيخ الأمين عوض الله: "الحسن بن محمد الوزان –ليون الإفريقي ومساهمته في الحضارة العربية الإسلامية"، **ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية**، الخرطوم 28-30 يوليو- موز، 1983م، ص241.

(9) ناصر الدين سعيدوني: **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي-تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، ط1، بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1999م، ص291.

(10) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص151.

(11) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي الملقب "**بالقائم بأمر الله السعدي**"، جد الشرفاء ملوك الدولة السعدية، ولد في منطقة درعة، لما فشل الوطاسيون في التصدي للبرتغاليون في أوائل القرن 16م اتفق أهل السوس وشيوخ القبائل على تقديم البيعة له فبايعه الناس سنة (916هـ-1510م) بقرية تدسي قرب تارودانت واتفقوا معه على طرد البرتغاليين من السواحل المغربية، وتوفي في حدود سنة (923هـ-1517م) فدفن بجوار قبر الجزولي، وفي حدود سنة (930هـ-1525م) نقل أحمد الأعراج جثمان أبيه والشيخ الجزولي إلى مراكش، ينظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: **معلمة المغرب**، ج19، الرباط: مطابع سلا، 2004م، ص ص6591، 6592.

(12) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج1، صص109-111.

(13) أغناطيوس يوليانو فتشكرا تشكو فسكي: **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**: ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م، ص451.

(14) ولد ليو في فلورنسا بايطاليا سنة 1475م وكان اسمه واسم عائلته "**جيوفاني آل مديتشي**"، وكان أبوه الزعيم الفلورنسي القوي "**لورنزو آل مديتشي**" واطلق عليه أيضا "**لورنزو العظيم**"، وقد انتخب ليو للبابوية عام 1513م وكان محبا للذات، ومناصرا للفنون والآداب وقد انفق بسخاء على العلماء ومؤلفي الموسيقى والفنانيين، كما حاول ليو الحفاظ على استقلال فلورنسا وعلى زيادة مصالح أسرته توفي سنة 1521م، ينظر: محمد عبد الخالق محمد فضل وآخرون: **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، ج21، الرياض-المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 1999م، ص ص319، 320.

(15) محمد عبد الفتاح الإبراهيمي: "الحسن الوزان وكتاب وصف إفريقيا"، **مجلة دعوة الحق**، (المغرب)، ع/ 2، السنة الثالثة والعشرون، 1982م. ص92.

(16) حسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج2، ص284.

(17) الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: **معلمة المغرب**، ج22، الرباط: مطبعة سلا ومطبعة النجاح الجديدة، 2005م، ص7585.

(18) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق،ج1، ص14.

(19) عبد القادر العافية: "كتاب وصف إفريقيا"،**مجلة دعوة الحق**، (المغرب)، ع/ 5، سنة الحادية والعشرون، 1979م. ص78.

(20) حسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص ص101- 108- 119- 130- 135- 151- 161.

(21) Jean Léon Africaine, **Description l'Afrique**, nouvelle Edition annotée, Vol :1, par ch , Scheffer, Paris, Ernest Leroux éditer, M .D.CCC.XCVI, p.16

(22) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج2، ص284.

(23) محمد المهدي الحجوي: **حياة الوزان الفاسي**، الرباط، 1935م، ص41.

(24) ابن الوزان الزياتي: **وصف إفريقيا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 2005م، ص4.

(25) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص171.

(26) المصدر نفسه، ج1، ص171.

(27) هناك اختلاف حول مسلك الرحلة الأولى والثانية إلى بلاد السودان للمزيد ينظر: بوفيل: **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي، 1988م، ص253 وما بعدها؛ مصطفى محمد مسعد: "**الحسن بن محمد الوزان أضواء على رحلته في بلاد السودان ومصر**"، مجلة جامعة القاهرة، ع/1، (القاهرة)، 1970، ص9؛ شوقي عطا الله الجمل: **علاقة المغرب بالأقاليم الصحراوية الواقعة جنوب– في ضوء رحلتي ابن بطوطة والحسن الوزان**، مجلة المناهل، (المغرب)، السنة الرابعة، ع/8، مارس 1977م، ص147؛ عبد اللطيف شهبون: "**الأدب الجغرافي المغربي وسيطا لأنماط التواصل الحضاري**"، أعمال ندوة: التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، (طرابلس)، 12-14ماي 1998م،ص385.

(28) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق ، ج2، ص167.

(29) المصدر نفسه، ج2، ص159.

(30) المصدر نفسه، ج1، ص33.

(31) المصدر نفسه، ج1، ص33.

(32) المصدر نفسه، ج2، ص161.

(33) المصدر نفسه، ج1، ص161.

(34) المصدر نفسه، ج1، ص33.

(35) المصدر نفسه، ج1، ص34.

(36) المصدر نفسه، ج2، ص284.

(37) المصدر نفسه، ج1، ص30.

(38) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(39) المصدر نفسه، ج2، ص168.

(40) المصدر نفسه، ج2، ص175.

(41) المصدر نفسه، ج2، ص177.

(42) المصدر نفسه، ج2، ص175.

(43) المصدر نفسه، ج2، ص177.

(44) المصدر نفسه، ج2، ص177.

(45) المصدر نفسه، ج2، ص179.

(46) المصدر نفسه، ج1، ص29.

(47) المصدر نفسه، ج1، ص30.

(48) المصدر نفسه، ج2، ص176.

(49) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(50) المصدر نفسه، ج2، ص162.

(51) المصدر نفسه،ج2، ص171.

(52) المصدر نفسه، ج2، ص171.

(53) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(54) المصدر نفسه، ج1، ص87.

(55) المصدر نفسه، ج2، ص170.

(56) المصدر نفسه، ج1، ص141.

(57) المصدر نفسه، ج1، ص29.

(58) المصدر نفسه، ج1،ص34.

(59) المصدر نفسه، ج1، ص38.

(60) المصدر نفسه، ج1، ص39.

(61) المصدر نفسه، ج1، ص82.

(62) المصدر نفسه، ج1، ص30.

(63) المصدر نفسه، ج1، ص ص84، 83، 85.

(64) المصدر نفسه، ج2، ص169.

(65) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(66) المصدر نفسه، ج2، ص ص176، 177.

(67) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(68) المصدر نفسه، ج2، ص130.

(69) المصدر نفسه، ج2، ص170.

(70) المصدر نفسه، ج2، ص177.

(71) المصدر نفسه، ج1، ص62.

(72) المصدر نفسه، ج2، ص280.

(73) المصدر نفسه، ج2، ص105.

(74) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(75) المصدر نفسه، ج2، ص280.

(76) لمصدر نفسه، ج2، ص280.

(77) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(78) المصدر نفسه، ج1، ص115.

(79) المصدر نفسه، ج1، ص169.

(80) المصدر نفسه، ج2، ص163.

(81) المصدر نفسه، ج2، ص117.

(82) المصدر نفسه، ج2، ص169.

(83) المصدر نفسه، ج2، ص163.

(84) المصدر نفسه، ج2، ص170.

(85) المصدر نفسه، ج1، ص75.

(86) المصدر نفسه، ج2، ص ص148، 149، 150.

(87) حدد الحسن الوزان صحراء تاركة أنها الصحراء الثالثة تمتد إلى تخوم الأير غربا والى قفر إيفيدي شرقا وتتاخم شمالا توات وتيكورارين ومزاب وجنوبا مملكة أكدز، ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج2، ص ص151، 152.

(88) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج2، ص152.

(89) المصدر نفسه، ج1، ص ص75، 76، 77.

(90) المصدر نفسه، ج2، ص149.

(91) المصدر نفسه، ج2، ص153، 154.

(92) المصدر نفسه، ج1، ص ص76، 77.

(93) المصدر نفسه، ج2، ص148.

(94) المصدر نفسه، ج2، ص ص154، 153.

(95) المصدر نفسه، ج2، ص81.

(96) المصدر نفسه، ج2، ص60.

(97) لمصدر نفسه، ج2، ص129.

(98) المصدر نفسه، ج2، ص122

(99) المصدر نفسه، ج1، ص60.

(100) المصدر نفسه، ج2، ص171.

(101) المصدر نفسه، ج2، ص134.

(102) المصدر نفسه، ج2، ص160.

(103) المصدر نفسه، ج2، ص160.

(104) المصدر نفسه، ج2، ص164.

(105) المصدر نفسه، ج2، ص160.

(106) المصدر نفسه، ج2، ص171.

(107) المصدر نفسه، ج2، ص174.

(108) المصدر نفسه، ج2، ص174.

(109) المصدر نفسه، ج2، ص174.

(110) المصدر نفسه، ج2، ص174.

(111) المصدر نفسه، ج1، ص67.

(112) المصدر نفسه، ج2، ص179.

(113) المصدر نفسه، ج2، ص172.

(114) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(115) عبد الرحمان السعدي: **تاريخ السودان**، ترجمة: هوداس، باريس، 1981م، ص22.

(116) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق ، ج2، ص160.

(117) المصدر نفسه، ج2، ص160.

(118) المصدر نفسه، ج2، ص165.

(119) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(120) انتقدهما من خلال كتاب "**مروج الذهب ومعادن الجوهر**" للمسعودي الذي ألفه سنة (336هـ-947م) إذ اكتفى بزيارة السودان الشرقي مابين (304هـ-916م/314هـ-926م) فركز في حديثه عن ممالك النوبة والبجة والحبشة وجزيرة سقطرة والواحات، ولم يزر الجهات الأخرى لبلاد السودان فاقتصر بالإشارة لتجارة الذهب، لأنه لم يكتب عنها كتابة معاين، بل استمد أخبارهم من أفواه المسافرين والتجار ومما كتبه سابقوه عن تلك البلاد، فجاءت معلوماته غامضة لأنه اعتمد على نقل الحكايات فاختلط الواقع بالخرافة، لذلك تميز كتابه بندرة المعلومات لأنه لم يعطي لنا صورة كاملة للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي لبلاد السودان خلال القرن الرابع الهجري/10م، أما البكري عرف بمصنفين في الجغرافيا "**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**" ولم يذكر فيه شيئا عن بلاد السودان، ومصنف "**المسالك والممالك**" الذي يعد مصدرا عن منطقة الصحراء الكبرى وبلاد السودان دون أن يقوم برحلة إليها، فهو لا يحدثنا عما يشاهده بنفسه وليست له تجربة مباشرة تتعلق بالبلاد التي يصفها، بل استسقى المعلومات من مصادر معاصرة له أو من رحالة أو تجار زاولوا التجارة بين مدن المغرب الإسلامي وممالك بلاد السودان، لكن الحسن الوزان اغفل عن أهمية مصنف البكري إذ يعد مصدرا أساسيا لانتشار الإسلام في بلاد السودان، وفي معرفة الطرق والمسافات والمراكز التجارية بين ضفتي الصحراء الكبرى، حيث قدم لنا البكري أول وصف مفصل لمملكة غانة من خلال ذكر عادات وتقاليد حكامها وعامة الناس فيها، وعن إسلام ملك مدينة التكرور "**وارجابي بن رابيس**" (ت432هـ-1040م)، وعن معتقداتهم الوثنية.

(121) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج2، ص159.

(122) المصدر نفسه، ج2، ص159.

(123) المصدر نفسه، ج2، ص160.

(124) للمزيد حول الموضوع ينظر: ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط2، ج2، تحقيق: ج.ص كولان واليفي برفنسال، بيروت- لبنان: دار الثقافة، 1983م، ص27؛ ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط، 1972م، ص89؛ أبي عبد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب- جزء من كتاب المسالك والممالك**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص160؛ عبد الرحمان ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، ط4،مراجعة: سهيل زكار، بيروت- لبنان: دار الفكر،2000م، ص42.

(125) حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، القاهرة، دار الفكر العربي، 2006م، ص46؛ شوقي عطا الله الجمل: " **الحضارة الإسلامية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها** "، مجلة المناهل، (المغرب)، ع/7، السنة الثالثة، نوفمبر 1976م، ص ص139، 140.

(126) أبي عبد الله البكري: مصدر سابق، ص175.

(127) عبد الله سالم بزينة: **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، ط1، بنغازي-ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2010م، ص ص96-102؛ عز الدين عمر موسى: **دراسات إسلامية غرب إفريقيا**، ط3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص111.

(128) عبد الله مقلاتي ورموم محفوظ: **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، ط1، الجزائر: الشروق، 2009م، ص117 وما بعدها.

(129) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق ، ج2، ص ص160، 161.

(130) المصدر نفسه، ج2، ص ص164، 165.

(131) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(132) المصدر نفسه، ج1، ص87.

(133) المصدر نفسه، ج2، ص179.

(134) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(135) المصدر نفسه، ج2، ص160.

(136) المصدر نفسه، ج1، ص67.

(137) المصدر نفسه، ج2، ص176.

(138) المصدر نفسه، ج1، ص67.

(139) المصدر نفسه، ج2، ص82.

(140) المصدر نفسه، ج2، ص ص163- 173.

((141) المصدر نفسه، ج2، ص174.

(142) المصدر نفسه، ج2، ص163-169-171-174.

(143) المصدر نفسه، ج2، ص180.

(144) المصدر نفسه، ج2، ص ص164- 173، 174.

(145) المصدر نفسه، ج1، ص77.

(146) المصدر نفسه، ج2، ص169.

(147) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(148) المصدر نفسه، ج2، ص166- 171- 173.

(149) المصدر نفسه، ج2، ص180.

(150) المصدر نفسه، ج2، ص168.

(151) المصدر نفسه، ج2، ص171.

(152) المصدر نفسه، ج2، ص165.

(153) المصدر نفسه، ج2، ص171.

(154) المصدر نفسه، ج2، ص ص169- 173.

(155) المصدر نفسه، ج2، ص174.

(156) المصدر نفسه، ج2، ص180.

(157) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(158) المصدر نفسه، ج2، ص163.

(159) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(160) المصدر نفسه، ج2، ص175.

(161) المصدر نفسه، ج1، ص133.

(162) المصدر نفسه، ج2، ص127.

(163) المصدر نفسه، ج2، ص135.

(164) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(165) المصدر نفسه، ج2، ص166.

(166) المصدر نفسه، ج2، ص163.

(167) المصدر نفسه، ج2، ص163.

(168) المصدر نفسه، ج2، ص170-176.

(169) المصدر نفسه، ج2،ص163.

(170) الهوسا مجموعة قبائل المتكلمة بلغة الهوسا وتتكون هذه الكلمة من شقين Hau وتعني يركب أو يمتطي وSA ثور أو عجل فيكون معناها راكبو الثيران، ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1985م، ص148.

(171) الحسن بن محمد الوزان الفاسي: مصدر سابق، ج2، ص163.

(172) المصدر نفسه، ج2، ص167.

(173) المصدر نفسه، ج2، ص165.

(174) المصدر نفسه، ج2، ص ص166، 167.

(175) المصدر نفسه، ج2، ص169.

(176) المصدر نفسه، ج2، ص162، 163.

(177) المصدر نفسه، ج2، ص165.

(178) المصدر نفسه، ج2، ص ص169،168.

(179) المصدر نفسه، ج2، ص ص170، 171.

(180) المصدر نفسه، ج2، ص ص173، 174، 175.

(181) المصدر نفسه، ج2، ص ص177، 178، 179.